ASJP
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
Algerian Scientific Journal Platform
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 07، العدد: 02 (2022) ص : 10 - 24

التأويل والتعديل الصوفي في جماليات الصورة الرمزية شعر عبد الله العشي أنموذجا

Interpretation and Sufi modification in the aesthetics of the symbolic image, Abdullah Al-Ashi's poetry as a model

بولرباح عثماني*
جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)
b.otmani@lagh-univ.dz

المختار نارة
جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)
m.nara@lagh-univ.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/11/01
تاريخ القبول:
2022/06/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الرمز الصوفي، المرأة
- ✓ الخمرة، الألوان
- ✓ الشعر الجزائري
- ✓ عبد الله العشي

الملخص:

عمليا لقد اكتسبت اللغة على لسان الشاعر الجزائري عبد الله العشي قيما جديدة من وحي التجربة، حيث حملها مهمة نقل معرفته القلبية ومكاسبه الوهبية، وفق نسق عرفاني، فما دام الشاعر قد فاض وجده واشتدت عليه وطأة التجليات واستشعر فطر الصمت فما كان عليه إلا الاستنجاد بقالب يبعث فيه روح القول بعد أن أجاد فن الإصغاء، و الإنصات لصوت الحقيقة الذي يناديه، ولم يكن ليعبأ بتدوين ما يتلقاه لذلك جاءت لغته بثوب صوفي عرفاني يأمل في الرمز والاشارة بدل العبارة، الرمز الذي استوعب كتاباته الشعرية وكان ملمحا أسلوبيا وجماليا ينطلق بلهفة مشرقة ومحيرة محدقة نحو فضاءات الرمز الصوفي مدار بحثنا.

Article info

Received 01/11/2021
Accepted 20/06/2022

Keywords:
- ✓ *Sufi symbol, woman*
- ✓ *wine, colors*
- ✓ *Algerian poetry*
- ✓ *Abdu Allah Al-Ashi*

Abstract :

Practically speaking, the language, according to the Algerian poet Abdullah Al-Ashi, has acquired new values from the inspiration of experience, as he carried it with the task of transmitting his heart knowledge and his endowmental gains, according to an erratic system. He has the spirit of saying after he mastered the art of listening and listening to the voice of truth that calls him, and he would not have bothered to record what he received, so his language came with a mystical mystical dress hoping for symbol and sign instead of phrase, the symbol that absorbed his poetic writings and was a stylistic and aesthetic feature that radiates with bright eagerness and staring confusion towards spaces The mystical symbol is the subject of our research.

* **المؤلف المرسل:** بولرباح عثماني

مقدمة

تعد اللغة الصوفية في شعر عبد الله العشي – أسلبة التصوف – عالم قائم بذاته يتمتّع بكل ما يتمتّع به العالم المحسوس من مكونّات، ليصبح التعامل مع هذا العالم، غير الظاهر، تعاملا مع كائنات حيّة تمتلئ نشاطا وحيوية؛ وتضمر أكثر مما تظهر، وهو ما يمثل غشاء إضافيا لما أحاطها من غموض وإبهام يجعل تتبع مساراتها ومسارها أمرا عسيرا عبر التعاريج المتراكبة التي لا تخضع إلا لمبدع التجربة؛ وفقا لمعاناته لها، وما أتيح له للتعبير عنها، وحسب فهمه لذلك العالم الخفيّ، وأسلوبه في التعامل مع مكوّناته؛ بما لها من حظوة عنده، ودرجة في الاغراق في الرمزية، والتي شكلت عالما كتابيا أحاط بكتابات الشاعر، وكانت ملمحا جماليا تظهر فيه قدرة الشاعر علي الخلق والابتكار، من خلال الرموز الشعرية الصوفية هذا ما حدى بنا بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل: ما مدى مساهمة الرمز الصوفي في إرساء ملامح الحداثة الشعرية عند الشاعر عبد الله العشي؟ وكيف أسهم في بناء أنساقه الشعرية وفق هذا الملمح العرفاني؟ وكيف تشظت الرؤيا الصوفية عنده من خلال الرمز الصوفي لتشيد عوالم مفعمة بترنيمات الوجد الأزلية؟

ويهدف البحث في جملته إلى تحقيق غايات منشودة أهمها:

– غنى التراث الصوفي بالإمكانات والأساليب الفنية التي يمكنها أن تعطي القصيدة الحداثية طاقات تعبيرية لا حدود لها وبالتالي محاولة إلقاء الضوء على هذا المهل الفكري والأدبي على السواء.

– محاولة وصل تجارب الشعرية بهذا التراث لما له من حضور حي ودائم في وجدان الأمة.

إبراز ما يضفيه الرمز الشعر الصوفي على التجربة الشعرية عامة وتجربة عبد الله العشي خاصة من أصالة فنية وشمول بإكسابها هذا البعد التاريخي الحضاري وبإخراجها من نطاق الذاتية الجزئية، ودمجها في الكلي والمطلق.

وقد تتبعت المنهج السيميائي في عملي البحثي، من خلال تتبع العلامات الدالة، وكذا من خلال الكشف عن البنية العميقة والمبطنة التي نالها هذا الخطاب الذي احتفى بالرمز والإشارة بدل العبارة، وكذا من خلال دراسة الرموز الشعرية الصوفية عند الشاعر.

1. جمالية الرمز في شعر عبد الله العشي

إن مسألة التحديد الاصطلاحي لمفهوم الرمز من التعقيد بمكان، ذلك أن هذه العملية تقتضي بعد معاينة معناه الرئيسي باعتباره وحدة معجمية مألوفة (lexème) تحديد مجال اشتغاله الدلالي، وتتبع حمولته المعرفية والابستمولوجية، هذا ما أسهم في تعدد مفاهيمه من حيث الاشتغال وتعدد هذه المجالات كمخزون ثقافي يمتلكه الرمز. (كعوان، 2009)

2. الرمز من الناحية الأدبية

إن اللغة الشعرية هي لغة رمز بقدر ما هي لغة مجاز ، ذلك أن مساحة الرمز في الشعر واسعة وآفاقه رحبة وطاقته الإيحائية كثيفة ، ذلك ما أكسب الصورة الشعرية ثراء وحقق لها الانفتاح الدلالي على دلالات لامتناهية ، لتخرج من الماضوية إلى الحاضر ، بهذا تتحقق الدرامية بدل الغنائية ، كما يحقق الاقتصاد السردي ، وعندما يتعامل الشاعر مع الرمز يخرجه من الدلالة الأحادية إلى دلالة مفتوحة تؤمن بالإيحاء في إشعاع معرفي ، وقبل الدخول في العوالم الشعرية في محاولة معرفة كيف يشتغل الرمز في بناء الصورة إلى جانب بقية المكونات في قصائد الشاعر لابد من البحث في ماهية الرمز .

لقد ساهم أدونيس في محاولة التعريف بالرمز قائلا:" الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص فالرمز هو، قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنه البرقُ الذي يتيح للوعي أن يستنشق عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر ". (يحياوي، 2014)

ومن خلال هذا يبدو لنا أن في الرمز القدرة على تحرر النص الشعري، "والذروة العليا التي يدركها الشاعر حين ينتفض من عقال الحواس والمقارنة والتشبيه ويقدر له أن يعاين الحقائق الأولى بأم عينه الباطنية " (يحياوي، 2014)

3. الرمز الصـوفي

عرَّف "السراج الطوسي" الرمز عند الصوفية قائلا: (الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر، لا يظفر به إلا أهله). (الطوسي، 1960) يتميز الرمز الصوفي بالفرادة، وبأنه لا يمكن استبداله دلاليا، ونظرا لكثافته، فإنه لا يفسر مرة واحدة، وبشكل نهائي، ولكنه يظل على الدوام قابلا للكشف والكشف الصوفي لا يقف عند مستوى معين من الدلالة، فحدود الرمز الصوفي أشبه ما تكون بحدود المطلق، لذلك تعددت الرموز الصوفية، وتعددت دلالاتها لدى العارفين.

فالصوفي لا يحيا إلا بالرمز لأنه مملوء بفراغات معرفية ذات طبيعة إنسانية، وإنّما إذا اشتدت الحاجة النفسية والاجتماعية والفكرية إليها، تلبست بالرمز لتظهر كحقائق بديلة عن الوجود بعيدة لا تنال فتبعث المغامرة والتحدي للبحث عن المعنى الأول والوحيد. يقول :ابن عربي" (الدين، 1999).

أَلاَ إِنَّ الــرُّمُوزَ دَلِيلُ صِـــدْقٍ *** عَلَى الْمَعْنَى المغَيبَّ في الفُـؤَادِ
وَإِنَّ العَــالَمِينَ لَـــــهُ رُمُــ *** وَ أَلْغَازٌ لِيَـــــدَّعى بِالـــعِبَادِ
لَوْلَا اللُّغْزُ لَكَانَ القَـوْلُ كُـــفراً *** وَ أَدَّى العَـالَمِينَ إِلَى الــعَنَادِ
فَهُمْ بِالرُّموزِ قَدْ حَسِبُوا فَــقَالُوا *** بِإِهْـرَاقِ الدِّمَاءِ وبِالفَـــــسَادِ.

يرى "أحمد أمين" أن الأدب الصوفي أدب رموز من ناحيتيه القابلة والفاعلة، فهو يفهم مظاهر العالم على أنها رمز؛ والعالم عنده لا يختلف عن أحلام النائم؛ فكما أن الحلم يعرض حوادثه عرضاً رمزياً فكذلك العالم كل ما فيه رمز، فكل ما يقع تحت عينه وما يسمع بأذنه، وما يتصل بجميع حواسه رموز يستنتج منها ما يغذي عواطفه ومشاعره، وبذلك أنفتح أمامه عالم غريب الأطوار مملوء بالجمال، مفعم بالتخيلات، حتى كأن كل شيء – ولو كان صغيراً – كتاب ملئ علماً، أو لسان ينطق دائماً بالحكمة، هو في العالم دائماً يقرأ ولا مقروء، ويسمع ولا مسموع، ويستخرج من الحبة قبة، ومن القطرة بحراً خضماً. يقرأ في كل حادثة نفسه وعالمه وربه، ويفسرها تفسيراً يتفق ومزاجه وحاله. (أمين، 1936).

4. الرمز الصوفي في شعر عبد الله العشي

إن الحداثة الشعرية في شعر عبد الله العشي صنيعة الرمز الصوفي الذي ولج عوالم شعره وغدى معينا له في صنع الإلهام ، فأصبح الشاعر يستمد من اللاّوعي المادة أو المعنى الذي ينوي صياغته بعد أن ينسحب من العالم الواقعي جسدا و يدخل العالم الآخر روحاً ، و أثناء

محاولته للكشف في هذا العالم يصنع لنا رموزا فيها من الإلهام ما يبعث على التأويل و يعود السبب في ذلك إلى، (بوذراع، 2007-2008) (كون التجربة الصوفية لا تخضع لمنطق العقل الواعي و قوانينه و أنها حالة من حالات الوجود الباطن ذات رموز خاصة ، فهي غربة روحية و اعتزال أي انسحاب الصوفي من عالم الواقع إلى عالم آخر يجاهده بالحدس و محاولة الكشف). (القعود، 2002)

فالرمز في شعره يعد تجربة فريدة في الكتابة، وفي بناء نص شعري حداثي بآليات وتقنيات إبداعية، الحس الصوفي أحداها بل وأهمها ومن تلك الرموز الصوفية:

1.4. رمز المرأة في شعر عبد الله العشي

ويجسد حسّ التصوف عند عبد الله العشي تجربة ووثبة إبداعية تقتضي المحبة الخالصة والإصرار على الفناء في محبة المرأة كرمز، لـ(تصبح الأنوثة قيمة شعرية وليست كيانا متغزلا به، وكأنما هو مجرد معشوق جسدي أو مجرد عامل تحفيزي على القول، كما أنها ليست مجازا إبلاغيا واستعارة طارئة على النص، ولكنها هي النص ذاته)، (شقرون، 2010) إلى آخر رمق دون أن يحيد قيد أنملة عن نواميس هذه المحبة الفريدة المضرجة بماء الوجدان الزلال الطاهر، المطهرة بنار الوجد والشوق المسعرة التي تبغي الكتابة وروح الإبداع.

إن تناول الشاعر لرمز المرأة في الكتابة كان مثل حب المحبوبين فطريقه محفوف بإرادة الله وعنايته والعناية فيه مقضية متحققة، والسفر فيه سريع، وما نراه جليا أن الشاعر يتدرج في المقامات الصوفية كأنه يطويها طيا، وفق نسق شعري تجريبي، يعيد تناول الأشياء ويكررها ويتعايش معها، ليقيم بناء شعريا حداثيا متماسكا ومنسجما مع مقتضيات الواقع الراهن، الذي يبحث عن الروحانية من مصافها ومنابعها، ليجد فيها الراحة والسكينة النفسية، من خلال الانصهار في التجربة الصوفية رغبة ولذة في الكتابة وتماثلا للرغبة الصوفية في حلول العاشق بالمعشوق، والعذاب في اللذة، وصولا إلى الفناء في الذات العليا. وكذا لكتابة قصيدة عرفانية تبتعد عن السطحية وتتجه نحو الأعماق في سبيل خلق تماس والتقاء مع الباطن والجوهر الروحي، وهذا ما نجده في قصيدته:

"قمر تساقط في يدي" (العشي ع.، 2007).

مري على جسدي ليتسع الأمد

وتصير الأقمار أجنحة

وتزهو في حدائقنا الحمائم

والحجل

مري على روحي...

ليحترق الجسد

وتحوم الأطيار حول شفاهنا

وتلتقط ما تناثر

من شرار البوح...

أو مطر القبل.

تلوح صورة المرأة مختبئة تحت تراكمات اللغة والثقافة على أنها كائن مسجون داخل اللغة، فهي مفردة في المعجم الدلالي ومجاز بلاغي ورمز صوفي، إلا أنها في ذات الشاعر هي ذلك الكائن المرغوب فيه يطلب الاتحاد واللذة الحسية والمعنوية؛ (ليحترق الجسد، مطر القبل) إنه مريد يريد أن يهل من بحار النشوة والامتزاج بالحسي ليكون مطيته إلى انتقال روحي بحثا عن كمال ومثال راسخ في اللغة والكتابة الشعرية.

إن رمز المرأة في شعره كتجربة في الكتابة تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر وسيط انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة ما أراها تتحقق إلا في عوالمه العرفانية، التي صبغها بروح كليمة متألمة حائرة مغتربة، وسط ركام الوجود المادي، إيذانا منها باتحاد خالص مع أنثى ينشد من خلالها الكمال والجمال والجلال والمثال، فهو عبر تطوافه هذا في ارتقاء وتدرج بين مقامات صوفية متنوعة، باذلا كليته ليحقق مناه، بالوصول إلى مولاه، والفناء في سبحات نوره وسناه، ليضل أبدا في اتحاد معها ليدخل من خلال هذا الحال الصوفي إلى فضاء اللغة الرحب لأن (الشاعر لا ينشد التصوف بالمعنى الحقيقي، إنما ينشد "فضاء اللغة" ومقاماتها وأحوالها، وينغلق الفضاء الذي كنا نعتقده صوفيا، وينفتح فضاء اللغة وحقول العبارة)، (شقرون، 2010، صفحة 126) وهذا ما نلمسه في قصيدته، "قاف، وكاف" (العشي ع.، ديوان صحوة الغيم، 2014).

حين ضيع تاريخه

لم يجد غير تاريخها

مد من تعب ظله

واستظل بأحرفها

أغلق الباب عن سره

واستعان بأسرارها

كله... كلها

ليس لي... ليس لي

مروياتي لها.

ومبتغى هذا الحب هو الارتقاء والوصول إلى السمو الروحي والفني على حد سواء، أو ما ينضوي تحت الرؤية الكونية لعاطفة الحب والتي ترى في المرأة ذلك الوجود المقدس؛ ليسمو الشاعر فوق حمئية المادة، وأدران الشهوات مصورا المرأة على أنها ذلك الكائن الذي يرمز إلى الطهارة، والنقاء، والصفاء، وفق توظيف جمالي لمعجم لغوي (ثبج، المياه، قدسية أنصع، بياض الغيم) وكلها تحيل إلى كينونة علوية، تستحق أن يهيم الشاعر باحثا عنها، رغبة في الوصول إليها، ولمنتهاها المنشود وهذا ما نجده في قصيدته: " تجاوب" (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 12).

ها هي من ثبج المياه تطل قامتها الجميله

قديسة وإلها.

ها هي تقبل من وراء الأفق،

أنصع من بياض الغيم

أجمل من صباها.

وأنا أقاوم خطواتي، مستعجلا

أمحو المسافة بيننا،

حتى تحل بدايتي

في منتهاها.

يأخذ هذا المقطع بعدا جماليا، من خلال استعانة الشاعر بأدوات اللغة الحداثية، وعناصرها الأسلوبية، وتجلى ذلك في الانزياحات اللغوية، التي أحدثت وقعا جماليا يحيل إلى حب الشاعر وتعلقه بهذه الأنثى.

وتتعدى مكانة هذه الأنثى حدود العقل والظاهر المرئي في شعره، لتغدو حكمة، ترتقي في مدارج المقامات، فهي قدسية من وراء الشهب، وهي سحر السحابة، وهي بذلك تشكل تلك الرغبة الجامحة في التوحد بها، والبحث عن كنهها، في رحلة ممتدة صورها الشاعر في قصيدته: "حيرة المعنى" (العشي ع.، ديوان صحوة الغيم، 2014، صفحة 42).

هي حكمتي...

هي شطآن أسئلتي

هي حبر القصيدة.. أرجوزة العمر

قديسة من وراء الشهب

هي سحر السحابة

مالت على جنبات السحب.

وقد لخص الشاعر نظرته إلى المرأة وتوظيفه لها بقوله: (كثيرا من الشعراء يستخدمون المرأة كحديث عن موضوعات متعددة... يكاد المؤنث أن يكون أساس الكون، وأنا أيضا المخاطب في شعري أنثى، وقد تكون امرأة، وقد تكون أنثى من أي جنس والمرأة أصبحت مكونا أساسيا في الشعر فهي ترمز للجمال والجلال ويتحقق الأمر عند المتصوفة لأنهم جعلوا الذات الإلهية امرأة أو أنثى إذا كان الرجل عقل الوجود، فإن المرأة بهجته وجماله). (العشي ع.، الشعر رؤية معرفية، 2014) فـعبد الله العشي اعتبر أن حضور المرأة في الشعر العربي الحديث، يحمل دلالات متعددة ومتنوعة، لكل شاعر فالمرأة هي الوطن، وهي الأم، وهي المعنى المثالي، وكان حضور المرأة عنده بارزا وواضحا في دواوينه الشعرية، يستلهم من التراث الصوفي أهم معاني المثال، والسمو، الذي أحاله على هذه المرأة ليطبع شعره بحس صوفي تنثال من خلاله اللغة وتنساب معبرة عن هموم وقضايا متعدد يحملها الشاعر.

2.4. رمزية الخمرة

إن الأثر الناشئ عن الخمرة أو خمرة الحب الإلهي في شعر عبد الله العشي هو الصحو لا السكر، فهذه الخمرة الأزلية تورث صحوا بما تفتحه من أبواب الحقائق التي تتجلى لقلوب المحبين، فالوجد عندهم رمزوا إليه بالسكر (سكر يفلت الأسرار من عقالها فتتمخض شطحا قد تدفع الحياة ثمنا له كما كان شأن الحلاج). (خوالدية، 2014) وهكذا جاءت الخمرة عند العشي فوق مستوى الواقع، ينسحب خلالها بتجربته الشعرية، من العالم الحسي إلى عالم الحب والمثل العليا يعبر من خلالها عن همومه وأحزانه (لم تعد الخمرة الصوفية كما كان الحال مع الشعراء المتصوفة تهويما، وفيوضا وبحثا عن الاتحاد والحلول، وإنما أصبحت عندهم ضربا من الرموز يعبر فيها ومن خلالها عن همومه، وأحزانه ومشكلاته الحضارية). (بقار، الخصائص الأسلوبية وأبعادها الدلالية في شعر عبد الله حمادي، 2012-2013)وهذا ما نلمسه في قصيدته: (العشي ع.، ديوان يطوف بالأسماء، 2013).

سكبت خمرتي، أرقتها على دمي، وأجهشت خطاي

رميت شملتي، وسرت فوق الماء، غار الماء، ...

كان الكون بين الظن واليقين،

ردني، وعاد بي إلى.

سمعت صوته الشريف:

يا عبادي

فقد مزج الشاعر بين مواجد الحب والعشق مع السكر الصوفي حتى بلوغ درجة الانتشاء للتوحد بالذات الإلهية، فمزج الخمرة مع دمه لتشكل قمة الانتشاء (سكبت خمرتي، أرقتها على دمي(والاتحاد حتى لم يدع لنفسه سبيلا إلا بالوصال الذي يصبو إليه ويرغب في أن يلاقيه، وفق درامية تستدعي تجلي المحبوب، الذي اتحد بذات الشاعر "ردني، وعاد بي إلى" ليغدو كيانا واحدا يقيم من خلاله دعائمه الشعرية، ويهيمن من خلاله على الكتابة والروح كذات مبدعة.

فالشاعر في كثير من نصوصه مسكون بالشوق والحنين إلى الذات الإلهية، وهو يتخذ من رمز الخمرة والسكر وسيطا يقربه من الله زلفى، ويدنيه من العرش، وفي احتفاء الشاعر بالخمرة ينفصل عن العالم الأرضي المادي، ويتعلّق بالفردوس الأعلى، بالعالم "اللامرئي". (قري، 2009-2010).

وفي هذا الصدد يصرح الشاعر: في قصيدته: "أجراس الكلام" (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، الصفحات 32-33)

قدسي حبك يا مولاتي

يسقيني خمر العشق...

ويسكبها فوق دمي...

أنهار.

أترنح يا مولاتي

تتقاذفني ريح..

وتلم أشتاتي أمطار

ويحجبني قمر عني

وتعرج بي نحوك أقمار.

فهو يريد من خلال هذه الخمرة مجرد الولوج والترقي في الكتابة والأساليب التي تغري القارئ وتجعله في ترقب مستمر وبحث لا متناهي عن إجابات واحتمالات قرائية متعدد.

تعرج به نحو عوالم مختلفة ومتنوعة "وتعرج بي نحوك أقمار" إن الأثر الناشئ عن الخمرة أو خمرة الحب الإلهي في شعر العشي هي الصحو لا السكر، فهذه الخمرة الأزلية تورث صحوا بما تفتحه من أبواب الحقائق التي تتجلى لقلوب المحبين، فالوجد عندهم رمزوا إليه بالسكر، وهكذا جاءت الخمرة عند الشاعر فوق مستوى الواقع، ينسحب خلالها بتجربته الشعرية من العالم الحسي إلى عالم الحب الإلهي. ومن عالم الماديات إلى عالم المثال، ليغمره بإبداعات ورؤى فنية خالصة، وفي الخمرة وأسرارها يبوح الشاعر في قصيدته "نشيد الوله" (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 69).

أتملى بهاها الشمالي...

ألمس في دهش سرها...

أي فيروزة أسكرتني...

بخمرتها اللدنية

ها أنا...

أتملى بهاها:

أي جوهرة بهرتني...

زاوج ومزج الشاعر السكر والانتشاء بالخمرة اللدنية (أي فيروزة أسكرتني، بخمرتها اللدنية) بمواجد الحب والعشق (ها أنا أتملى بهاها، أي جوهرة أبهرتني)، حتى بلوغ درجة الانتشاء، محاولا الانفصال عن العالم الأرضي، والتعلق بالسماوي والمتعالي، ليقيم لنفسه صرحا من الأفكار والقيم العرفانية، التي بدورها تعمل على إثراء شاعريته وشعريته، مشيدا لنفسه عالما للكتابة والفن والشعر المنتقاة من النزعة الصوفية، التي تدعو إلى قيم التحرر والثورة على الواقع الاجتماعي المادي.

3.4. رمزية اللون في التصوف

يأخذ اللون في التصوف منحة دلاليا وبعدا عرفانيا، لكونه يعبر عن موجودات ومواجيد يظهر من خلالها الصوفي تفانيه في الذات الإلهية ويعبر عنها بالألوان التي تعد وسائط تعبر عن ذات الصوفي، ومعارجه، وفيما يلي إشارات لبعض دلالة الألوان في شعر عبد الله العشي التي عن هذا التمازج والتماهي الوجودي وما تحمله من عمق دلالي كبير.

1.3.4. رمزية اللون الأخضر

يأخذ اللون الأخضر في النزعة الصوفية مكانة مقدسة، لكونه يشير إلى المعرفة اللدنية والغيبية، وكذا لارتباطه بدلالات الحياة، والأمل، والحب، والسعادة، وهذا ما نجده في قصيدة الشاعر: (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 59).

تلومني أميرتي...

وهل درت بأنني أعيشها...

غزالة خضراء في حدائق الفيروز

مجلوة بالمسك والندى والنور

وأنني أعيشها...

في عتمة الديجور.

فقد ربط الشاعر اللون الأخضر بالمرأة الملهمة وحلولها في ذاته بصفات الجمال الجلال والكمال، ليزيد من فاعلية هذا الأثر الفني الذي التمسه في اللون الأخضر وقواه الدلالية والايحائية.

وقد يرافق اللون الأخضر دلالة البحث للوصول إلى منتهى التحقق للرغبة القصوى، التي تكتنف ثنايا الشاعر وروحه الشعرية، وهذا ما نجده في قوله: (العشي ع.، ديوان يطوف بالأسماء، 2013، صفحة 12).

ضممت نشرها

حتى استوى الجنبان

واخضوضر المدى

وصرت لا رخوا ولا عصى

هنا في الوقفة الكبيره

بالربوة الخضراء

على صعيد عرفة

سجدت، لم أرفع، ظللت ساجدا

حتى استبان وجهه

واخضرت الأبعاد من حولي

ونغمة ربابه

ناديت: يا أبي

كما يوحي اللون الأخضر بالمتجلي سبحانه وتعالى، كاللون الأخضر في الشجرة له دلالة الديمومة المبدعة والمستمرة، عطاء في لونها، أو ثمرها، أو صفاتها، أو من خلال مقارنتها بسائر الكائنات، فكذلك الحق تعالى دائم التجليات، ولكل تجلي من تجلياته جمال وديمومة يختص به من كونه مظهرا لحقائق الحق، فكل تجلى يعد أفق من الأفاق، (صالح، 2012).

فالشاعر يظهر هذا التجلي لذات العليا ليعبر عن حالات من الصفاء والتحقق والوصول، لمبتغى أراده ورغب في الوصول إليه.

2.3.4. رمزية اللون الأبيض

لم يكن استعمال اللون الأبيض في شعره، بمنأى عن الأنثى المقدسة، فقد ارتبط بها ارتباطا وثيقا من خلال رؤيته الشعرية لهذه الانثى، كرمز للطهر، والنقاء والصفاء، ليرتقي بها إلى مكانة مقدسة، لكونها ملهمته الشعر والكتابة، بل هي الشعر والكتابة نفسها من خلال حس صوفي تغلبه المحبة الإلهية وهذا ما نلمسه في قصيدته: **"تجاوب"** (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 12)

ها هي من ثبج المياه تطل قامتها الجميله

قديسة وإلها.

ها هي تقبل من وراء الأفق،

أنصع من بياض الغيم

أجمل من صباها.

وأنا أقاوم خطواتي، مستعجلا

أمحو المسافة بيننا،

حتى تحل بدايتي

في منتهاها.

يهيم الشاعر في وصف أنثاه النورانية، دون البوح باسمها، فارتباطها باللون الأبيض يعد الأصح لتلك الصفات القدسية، ففي العرف الاسلامي يعد اللون الأبيض لونا مقدسا مطهرا يوحي بالنقاء والصفاء، ففيه يكفن الأموات، وفيه يقدم المصلي لأداء الصلوات، وفي الحج وسائر الطاعات، فالشاعر قد جانب الصواب في اختياره لهذا اللون، ليحيله إلى الأنثى المقدسة، رغبة في الوصال، ونفحة من نفحات الكمال الشعري، الذي يصبو إليه الشاعر في قصائده المكتوبة برقة وطاهرة نفسه، وسجيته الشعرية.

3.3.4. رمزية اللون الأزرق

يعبر اللون الأزرق عن الصفاء والشفافية، كما أنه يشير إلى القداسة المتمثلة في تمام الطاعة والولاء، والتبتل والدعاء، فهو لون السماء، وقد اعتمد الشاعر هذه الدلالة وأسقطها على المرأة الفاتنة الجميلة، بجعلها علوية الانتماء وهذا ما نلمسه في قصيدة:

"قمر تساقط في يدي" (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، صفحة 49).

وطفولة تمضي...

لتتسع الكواكب حول ذاكرتي...

ويمحى العمر.

هذا عناق العاشقين:

قمر تساقط في يدي

وتساقطت من زرقة الحلم السماوي

فرحتي...

صورا صور.

ليتضح أن توجه الشاعر لم يكن توجها صوفيا، وإنما كان نتيجة رؤية علمية، وموقف فني، تتوالج من حلاله اللغة ودلالاتها، لتشكل عالما من الألوان والحروف، والعبارات يصل من خلالها إلى الحقائق فيتذوقها ويعبر من خلالها برؤية حالمة تستهوي المتلقي نحو الفضاءات الشعرية عما يجوب في ذاته المبدعة.

4.4. رمزية الحروف

تعتبر الحروف في التجربة الصوفية رمزا دالا على المعاني الباطنية، لكونها تشكل علاقات تصل الذات الإلهية بالإنسان، كما أنها تفسر العلاقات الكائنة في الكون، بطريقة رمزية ومغرية، فالحروف هي أداة وموضوع وتأويل في الآن نفسه، فالحروف التي تنضح برمزية صوفية تؤسس فعل الكتابة الحداثية لدى شعرائنا المعاصرين، وهذه سمة أسلوبية تعد من خصائص الكتابة الصوفية الحداثية، حيث يكون التلاعب بالحروف وأسرارها في النصوص الشعرية غاية ترتجى، وهدفا سعى إلى تحقيقه الشاعر المعاصر، لزعزعة القيم الجمالية التي يتأسس عليها الخطاب الشعري الحديث والمعاصر، لأجل خلق أساليب جديدة في الكتابة الشعرية، وكذا لنقل تجارب الشعراء الصوفية، والتي أفضت بهم إلى البحث عن صيغ تعبيرية أساسها المخاتلة والاختلاف، لأجل التعبير عن تجاربهم الشعرية الحداثية التي تأبى السكون والثبات، وإنما تهيم في مغامرة فنية لا متناهية، من خلال البحث عن مقومات شعرية تسهم في بناء أشعارهم ومن هذه المقومات التجربة الصوفية، وما تبثه في الحروف من أسرار وجماليات. (كعوان، 2009، صفحة 330). ويتجلى الحرف ورمزيته في شعر عبد الله العشي ليحمل قيما ودلالات صوفية، تمت إلى إثراء تجربته الشعرية الحداثية على اعتبار أن التصوف مقوما من مقومات الحداثة الشعرية، وهذا ما نجده في قصيدته: "احتفالات الأبجدية" (العشي ع.، ديوان مقام البوح، 2007، الصفحات 35-36)

ألف تعطر بالخزامى

وتضوعت منه اللحون

والميم حورية تسرح شعرها الفتان

الحرف	عنوان القصيدة	خصوصيتها الصوفية	عالمها
(أ) **ألف**	ألف الأسماء	الامتثال	عالم العظمة (الجبروت)
(ب) باء	حكمة الباء	السكينة	العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة

(ت) التاء	تاء لذاكرة البنفسج	كما الحواس الظاهرة	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ث) الثاء	الثاء تغزل ليلها (ها)	الإنصاف	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ج) الجيم	جفن الغمام	الصبر	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ح) الحاء	حيرة المعنى	الرحمة	العالم الأعلى وهو عالم الملكوت
(خ) الخاء	خجل الأسئلة	ذوق الأنوار	العالم الأعلى وهو عالم الملكوت
(د) الدال	دال بقطر الندى	الطهارة	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ذ) الذال	ذروة المسافة	معرفة اللغات	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ر) الراء	رجع الصدى	حسن التجاوز	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ز) الزاي	زاي لم يكن	الصدق	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(س) السين	سر لغيم الضحى	التواضع	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ش) الشين	شبح الكلمات	قوة الانطواء	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ص) الصاد	صوتان للقصيدة	العقل الكامل	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ض) الضاد	ضاد سوف أفتح	قول الحق	عالم الامتزاج
(ط) الطاء	طائر الإيقاع	التميز	عالم الامتزاج
(ظ) الظاء	ظل لا يحجب	نزع حظ الشيطان	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ع) العين	عين على شرفة الوقت	العفو	العالم الأعلى وهو عالم الملكوت
(غ) الغين	غواية كان مد	كمال الصورة الظاهرة	العالم الأعلى وهو عالم الملكوت
(ف)الفاء	فصل هل يقول	حمل العلوم	عالم الامتزاج
(ق) القاف	قاف، كاف	البصيرة–	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(ل) اللام	لام أخضر	العلم الكامل	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(م) الميم	ماء الإنشاد	الذكورية	العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة
(ن) النون	نون الصحو	الفرح الكامل	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط
(و) الواو	واو أشرقت	الموت والحياة	العالم الأسفل وهو عالم الملك والشهادة
(ي) الياء	ياء السلام	الخوف	عالم الجبروت وهو العالم الأوسط

الجدول ينظر: (بريكة، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، 2006، الصفحات 153-154)

قرب النبع

تحت التين والزيتون

وترف هاء كالفراشة

كي تحط على الندى...

وتبوح بالأسرار..

بوح الباء تكشف سرها للنون

ألف ونون

عين ونون

نون ونون

هذا احتفال الأبجدية...

بالغواية والفتون

من خلال هذه القصيدة يجسد الشاعر علاقة حوارية بين الحروف، من خلال استثمار رمزيتها العرفانية ليعبر عن ذلك الحنين الصوفي الدفين لمعانقة المطلق، وهذه الفلسفة الصوفية استلهمها الشاعر في جمعه بين الحروف التي هي من عوالم مختلفة لأجل التعبير عن دلالات صوفية، فالألف الذي هو من العالم التشاكلي، والباء والميم هما من العالم الأسفل، والهاء التي هي من عالم العظمة – الجبروت – والنون الذي هو من العالم الأوسط، تعبر كل هذه الحروف عن علاقة المطلق بالكون والوجود، فكل هذه الموجودات تحن إليه كحنين الحروف إلى بعضها البعض، وهنا يظهر ذلك الحس الحداثي الذي يرغب في معانقة المطلق واللامتناهي من خلال استعارة الحس الصوفي كبديل كتابي فني أسلوبي يمتح من الحروف وأسرارها. (كعوان، 2009، صفحة 315).

ويتجلى في ديوان "صحوة الغيم" أثر الحرف وسره وجاذبيته وسحره وعرفانيته، من خلال محاولة الحروف اكتناه أغوار الذات وخفايا الكون، في سيرورة يطبعها عمق التعبير وفرادة اشتغال الرمز ليوافق رؤيا الشاعر الحداثية، وهذا ما نسجله في جميع قصائد الديوان التي أتت على شكل حروف أبجدية، متبوعة بمعنى لاحق، أو بداية لعنوان في ذاته ليغمرها بمعنى ينشد: (كيف يصبح الإنسان هو القيمة الأخلاقية الكبرى، حين يتناغم مع الوجود ويسبغ على الحياة معناها الكبير. ولعل من هذه النقطة بالذات يتجلى توافق الشاعر التام مع الحداثة، التي تمثل فيها الإيديولوجية الحداثية آخر صورة للاعتقاد في وحدة الإنسان بالطبيعة. خاصة وأننا نعيش عصر التحولات الكبرى التي لا تعطي فيه أي قيمة للإنسان ولا لطبيعة). (بلعلى، 2015).

وبالرجوع إلى ديوان صحوة الغيم بإحصاء عناوين القصائد وبداياتها بحرف صوفي نجد:

كنموذج على ديوان "صحوة الغيم" نجد في قصيدته "فاتحة الأبجدية" (العشي ع.، ديوان صحوة الغيم، 2014، صفحة 9) التي تعد بداية الديوان والولوج إلى عوالم التصوف وجامعة الحروف "الأبجدية" ليثبت معالم الحداثة بالنزوع إليه، والاغتراف من معينه كمعلم ومقوم من مقومات الحداثة الشعرية:

ألله يا ألله

أنرت من أمامه أضواءك الخضراء

فاساقطت على يديه

لكنه...

منطفئ القلب، كل نبض فيه

مدينة عمياء.

ألله يا ألله

يصور الفاتحة الشعرية "ألله يا ألله" معنى وكونا شعريا قوامه رؤيا صوفية، تظهر فيها ذات الشاعر وهي في مقام التذلل والخضوع بين يدي عالم الأسرار الواحد القهار، ذات وجدت في التصوف ملجأ من عالم طغت فيه سفاسف الماديات وخشونتها على الروحانيات، فكان تضرع الشاعر وبحثه عن مدينته الفاضلة المثالية، باللجوء إلى التصوف والروحانية، كملمح حداثي عبر عن لجوء الشعراء إلى التصوف، وفرارهم من سطوة الماديات وعبثيتها الغاشمة عليهم مذهبا وفكرا، أو أسلوبا وفنا، لينتج الشاعر قصائد تتسم بالحس الصوفي متمازجة مع فضاءات التصوف وفق أساليب وصيغ فنية لا مذهبية اعتقادية لنأخذ في الفصل الرابع البحث في حيثيات الإيقاع ودلالته، التي لا تقل شأنا عن سابقتها اللغة والرموز في الكشف عن ملمح الكتابة الصوفية عند الشاعر، وما تظهره الموسيقى الداخلية والخارجية من خلجات ودفقات عرفانية صوفية دالة عن الرغبة في التسامي والوصول إلى المطلق، بعيدا عن الماديات وخشونتها.

خاتمة

– الرمز عند الشاعر إيحائي بجوهره غنيٌّ بإيحائه، لكونها يتعدى الأشياء المادية في تصويره، لينقل لنا التأثير الذي تتركه هذه الأشياء في النفس، بعد أن يلتقطها الحس الشعري المفعم بترانيم الوجد الصوفي.

– استنفد الشاعر كل الطاقات الكامنة في العلامات اللغوية والصوفية من حروف وألوان لأجل التعبير عن مخبوءاته، لتغدو اللغة غاية مثلى وعلاقة تامة معشوقة تضارع علاقة الذات الصوفية بالمطلق.

– تنوع الرمز الصوفي عند الشاعر بتنوع دلالته العرفانية من رمز للمرأة والخمرة، والألوان، والحروف وكلها لعبت دورا بارزا في خلق أجواء صوفية، أملتها الحداثة والتجريب الشعري، الذي أصبح رهين الخلق والتجديد، بالاتكاء على مصادر متنوعة (التصوف، الأساطير، الفلكلور...) وإلا فإن القصيدة لا يمكنها أن تستمر في عالم الشعر، ولا أن تكتسب شعريتها ووجودها.

قائمة المراجع

1- ابن عربي محي الدين: الفتوحات المكية، تقديم أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

2- أحمد بقار: الخصائص الأسلوبية وأبعادها الدلالية في شعر عبد الله حمادي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري، إشراف: فاتح علاق، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية 2012-2013.

3- أسماء خوالدية: الرمز الصوفي بين الاغراب بداهة والاغراب قصدا، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.

4- السراج الطوسي: اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، ط1، 1960.

5- راوية يحياوي: البنية والدلالة في شعر أدونيس، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2014.

6- ضاري مظهر صالح: دلالة اللون في القرآن والفكر الصوفي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2012.

7- عبد القادر بلغربي: أسس القراءة وآليات التأويل في النص الصوفي عفيف الدين التلمساني في شرح مواقف النفري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، إشراف: الأستاذ الدكتور: وذناني بوداود، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، السنة الجامعية.

8- عبد الله العشي: الشعر رؤية معرفية، جريدة الرأي، الأربعاء 02-04 -2014، 12:00.

9- عبد الله العشي: ديوان صحوة الغيم، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

10- عبد الله العشي: ديوان مقام البوح، منشورات جمعية باتنة الثقافية، باتنة، الجزائر، ط1، 2007.

11- عبد الله العشي: ديوان يطوف بالأسماء، منشورات أهل القلم، باتنة، الجزائر، ط1، 2009.

12- مجيد قري: مسار الرمز وتطوره في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، إشراف: كمال عجالي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

13- محمد بن بريكة: التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط1، 2006.

14- محمد كعوان: التأويل وخطاب الرمز قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

15- نادية بوذراع: الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد -عبد الوهاب البياتي ومحي الدين صبحي- أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إشراف: علي خذاري، تخصص الشعرية العربية، السنة الجامعية، 2007-2008.

16- آمنة بلعلى: سيميائية الأبجدية في ديوان صحوة الغيم لعبد الله العشي، مجلة سيميائيات، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، الجزائر، العدد5، 2015.

17- شادية شقرون: سيميائية (الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010.

18- عبد الرحمان القعود: الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل، مطابع السياسة، الكويت، مارس 2002.

19- الموقع الالكتروني: https://alrai.com/ article/640422.html

20- أحمد أمين: الرمز في الأدب الصوفي، مجلة الرسالة، العدد 131، 1936.